

١٢٣ سنة لولادة رئيس الطائفة السامرية في إسرائيل
حسني (يفت) بن إبراهيم صدقة الصباحي (هصفري)
١٨٩٤-١٩٨٢

123 Years since the Birth of the Head of the Samaritan Community in Israel, Yefet b.
Abraham Tsedaka ha-Safri, 1894-1982

ترجمة ب. حسيب شحادة
جامعة هلسنكي

في ما يلي ترجمة عربية لهذه القصة، التي كتبها حسني بن راضي (يفت بن رتسون) صدقة (١٩٤٦ -) أحد محرري الدورية أ. ب. عنه وعن جدّه والد والدته الملقّب بـ "سيدو"، الذي لعب دوراً رئيسياً في بلورة شخصيته، والحفيد مدين للجدّ الذي كان قدوة له. نشرت هذه القصة في الدورية السامرية أ. ب. - أخبار السامرة، عدد ١٢٤٤-١٢٤٥، في ١ آب ٢٠١٧، ص. ٢٠-٢٢. هذه الدورية التي تصدر مرتين شهرياً في مدينة حولون جنوبي تل أبيب، فريدة من نوعها - إنها تستعمل أربع لغات بأربعة خطوط أو أربع أبجديات: العبرية أو الآرامية السامرية بالخطّ العبري القديم، المعروف اليوم بالحروف السامرية؛ العبرية الحديثة بالخطّ المربع/الأشوري، أي الخطّ العبري الحالي؛ العربية بالرسم العربي؛ الإنجليزية (أحياناً لغات أخرى مثل الفرنسية والألمانية والإسبانية والبرتغالية) بالخطّ اللاتيني.

بدأت هذه الدورية السامرية في الصدور منذ أواخر العام ١٩٦٩، وما زالت تصدر بانتظام، توزع مجاناً على كلّ بيت سامري في نابلس وحولون، قرابة الثمانمائة سامري يعيشون في مائة وستين بيتاً تقريباً، وهناك مشتركون فيها من الباحثين والمهتمين في الدراسات السامرية، في شتّى أرجاء العالم. هذه الدورية ما زالت حيّة تُرزق، لا بل وتتطور بفضل إخلاص ومثابرة المحرّرين، الشقيقتين، الأمين وحسني (بنياميم ويفت)، نجلي المرحوم راضي (رتسون) صدقة (٢٢ شباط ١٩٢٢-٢٠ كانون الثاني ١٩٩٠).

"حدثت هذه القصة عندما كنت ابن خمسة عشر ربيعاً. كنت في الصف التاسع في المدرسة الثانوية "كوجل" في حولون، وعانيت حينها من رجلي اليمنى نتيجة دوّسي على مسمار صديء عندما كنت ابن خمس سنوات ونصف. في كلّ مرّة كان "سيدو" يبحث عن أطباء أفضل كي يُنقذ رجلي التي كانت معرضة للبتر مرتين.

وفي عمر خمسة عشر عاماً رقدت في مستشفى "شيبيا" اثنين وأربعين يوماً، وكانت حالة رجلي آخذة بالتدهور إلى أن أُجريت لي عملية. وكان "سيدو" الذي دأب على زيارتي يومياً في مستشفى شيبيا قد أودعني بأيدي أمهر طبيبي عظام في البلاد آنذاك، فايسمان وحرמוש.

في أعقاب التجارب التي استمرت مدّة طويلة بغية إنقاذ رجلي اليمنى، اتّخذ القرار ببتّر كفّ الرجل (القدم) لإنقاذ بقية الرجل. انقضت تسعة أطباء، كان من المفروض أن يقوموا بـ "البتر" على "سيدو" الذي وصل المستشفى وقالوا له: "يا سيد حسني، انتظرناك أنت أو والدي حفيدك بفارغ الصبر، لأننا سنبتّر قدم حفيدك وعلينا الحصول على توقيعك على الوثائق المناسبة". "سيدو" ردّ فوراً (حينها جلست على كرسي متنقل/كرسي المقعدين ورجل مخدّرة/ مبنجة ساكنة) "هل أنتم مجانين؟ هل أوقع على قطع رجل حفيدي؟ أين الدكتور شيبيا، مدير المستشفى؟ أريد أن أكلمه". أخذ في الحال كرسي المقعدين وجرتي لمكتب الدكتور شيبيا.

وصلنا المكتب، توجه للموظفة سائلاً "أين حاييم؟"، أتقصد دكتور شييا؟ استفسرت، فأجابها نعم، نعم، فقالت الموظفة إنه في جلسة ولا يستطيع استقبالكم الآن. أجايبها سيدو: قولي له إن حسني هنا ويريد التكلم معه. قامت الموظفة ودخلت غرفة الجلسات، همست لدكتور شييا وبعد عشرين ثانية كان معنا.

يذكر أن الدكتور شييا كان يقدر ويحب سيدو جداً، وعلاقة صداقة وطيدة وعميقة ربطتهما بين تسقي. تقدم وعانق سيدو وقال له "نعم يا حسني، كيف يمكنني مساعدتك؟". رد سيدو "أنظر، إن طاقم أطباءك قد جن، يريدونني أن أوقع على بتر قدم حفيدي، هذا مستحيل".

عانق الدكتور شييا سيدو وقال "ولكن يا حسني افهم أن هذا القرار لا يتخذ من لحظة لأخرى. كانت هناك ترددات كثيرة قبل اتخاذ القرار بتر جزء من جسم الإنسان، كما هي الحال بالنسبة لحفيدي، وأنا مشارك في اتخاذ هذا القرار".

لم يكن سيدو مستعداً للسمع، التفت تجاه الدكتور شييا وقال له بثقة مطلقة "الله موجود وهو يرحم ويساعد، ما أنتم إلا أدوات بيديه، أجروا العملية للصبى بدون بتر قدمه وبعد ذلك تكمل الحديث". "ولكن يا حسني، مع كل الاحترام لإيمانك فهناك حقائق على الأرض"، قال الدكتور شييا فقاطعه سيدو مجيباً "بدون ولكن، أجروا العملية بدون بتر". جاوب الدكتور شييا "حسناً، ليكن كما تشاء ثم سنرى بعد ذلك!"، كان سيدو راضياً جداً وابتسم.

اعتذر البروفيسور شييا للذين انتظروه في غرفة الجلسات، ورافقنا لغرفة العمليات حيث انتظره تسعة أطباء لسماع ما لديه. أعطى البروفيسور شييا التعليمات "أدخلوا الصبي إلى غرفة العمليات"، ولكن صاح الأطباء يا بروفيسور فرد عليهم بدون ولكن. دُهل كل الأطباء. أُدخلت لغرفة عمليات.

كان بروفيسور شييا يزورني مرتين في اليوم، في الأيام التالية ليطمئن على حالتي في جناح ٢٥ في تل هشومير. كما كان يزورني سيدو مرتين يومياً مسافراً بالباص أربع سفرات. كان ذلك يوم خميس بعد العملية بأسبوع تقريباً وبروفيسور شييا تواجد عندي ليسأل عن صحتي وكذلك والداي وأطباء آخرون من الذين أجروا العملية وكانوا يزورونني بين الفينة والأخرى، وإذا بسيدو يدخل الغرفة ويرى الجميع عندي. وحال دخوله توجه إليه بروفيسور شييا وقال له "يا حسني، يجب أن أتكلّم معك على انفراد". والداي وأنا خشينا ممّا سيقوله لسيدو.

التفت نحو سيدو الذي كان أطول منه برأس ونصف بالتقريب وقال له "أريد أن أخبرك بأننا اليوم بدأنا بملاحظة علامات تعافٍ في مكان عملية حفيدي، وبناءً على الوضع الراهن يبدو أننا لن نحتاج إلى بتر قدم رجل حفيدي!" ألقى سيدو نظرة عليه من الأعلى إلى الأسفل، وابتسامة عريضة ارتسمت وسأله "يا بروفيسور شييا، من أعظم، أنت أم الله؟". صوّب بروفيسور شييا نظره إليه رافعاً كلتا يديه وقال "إنني أرفع يدي مقابل إله السامريين؛ لا أحد منا آمن بهذه الإمكانية وها هي تتحقّق أمام عيوننا، رجل حفيديك أنقذت".

أحسستُ بحبّ سيدو الجَمّ لي. سألت الدموع من عيني بروفيسور شييا. عاد إلى الغرفة ليترفّ البشري على الحاضرين. شعر الأطباء وكأنّ ذلك بمثابة انتصار لهم. أجهش أبي وأمّي بالبكاء فرحاً. أنا بكيت وفرحت أكثر من الجميع.

هكذا كان سيدو، رحمه الله وأسكنه جنّة عدن مؤبداً.